من سجون الغرباء

بسم الله الرحمن الرحيم

غاية في كلمة

للطباعة والنشر والتوزيع

وعلى المصيطبة
شارع حبيب أبي شهلا
بناء المسكن
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢
فاكس: ٨١٨٦١٥ (٩٦١١)
ص.ب: ١١٧٤٦٠
بيروت - لبنان

Resalah Publishers

Tel: 319039 - 815112
Fax: (9611) 818615
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

Email:
resalah@resalah.com

Web Location:
Http://www.resalah.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

حقوق الطبع محفوظة ©٢٠٠١م. لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

من سجون الغرباء

ديوان شعر

د. وليد قصاب

مؤسسة الرسالة
ناشرون

إهداء

سكبتْ عيناهـا في قلمـي
أقباساً مـن وحـــي الشِّـعرِ
سكبتْ فيضاً مـن أشـواقٍ
في أضلاعـي مثـلَ الجمـرِ
فتفجـرَ نبـعٌ مـن ألـقٍ
وَهَمى وَجْـداً صبحُ السِّحرِ
وانسـاحَ قريـضٌ مبتكـرٌ
صـورٌ مثـلُ الأرضِ البِكْـرِ
فإذا أهديـتُ لهـا شـعري
فدُيُـونُ النبـعِ إلى البحـرِ

شعري

شعري منفوث من قلبي
مجبولٌ من نبضاتِ دمي
من شوقي... من حبي
مَسْقِيُّ الغرسةِ من حزني
من هَمّي.. من عَتْبي
من صفحي إذ أبدو صبحاً
وهاجّاً مثلَ ضِيَا شُهْبِ
وإذا ما كنتُ كبركان
يتلظّى جمراً من غضبي

***

مسكونٌ شعري بالوجعِ
مغموسٌ في عُمْق الوَصَبِ
فأنا لا أغفو من تعبي
وأنا لا أصحو من تعبي
كم هَمٍّ نحياهُ
كم سُهْدٍ ... كم ذُلٍّ
كم من سَغَبِ
والشّعرُ الحقُّ معاناةٌ

عيشٌ في قلب المأساةِ
وينمو في حقلِ التعبِ
ويُنَضِّجُه وجعُ الأيام
وعسفُ ليال
جَفَّتْ من حَدَبِ

عبورُ الأربعين

قطفتَ زهورَ الشّبابْ
وأوغلتَ في السيرِ
جُزْتَ الوِهَادَ
وجُزْتَ الهضابْ
وكما غازلتك الليالي!
وكم ضرّستك الصّعاب!
ومرّتْ بك الأربعون
كمرِّ السّحابْ
وراحتْ كما الريحُ تمضي
تُغَالِبُ وثْبَ الوِثَابْ
وأنتَ على طائرٍ من تناسٍ
تُكَابِرُ
تَغْمِطَ حقَّ الحساب
فتوهَمُ أنّك غُصْنٌ فَتِيٌّ
وأنك بعدُ رطيبُ الإهاب

***

عبرتَ الطفولةَ ثم الصّبا
والشبابْ

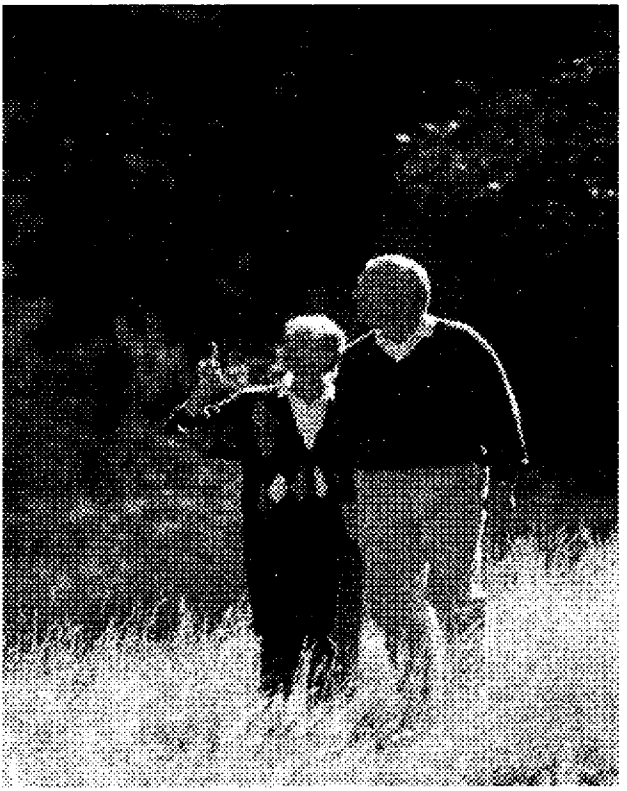

وتعبر كهف الكهولةِ
كهفَ العنا والضبابْ
ولكنّ حُلْمَك حلمُ الصغارْ
وتُثْمِرُ فيه مئاتُ الرّغابْ

***

فقيرٌ من الحبّ أنتَ
وتوقَد شوقاً
وجمر اشتهاءْ
شديد الظما أنتَ
لم تعرفِ الارتواءْ
تمدُّ إلى الحبّ كفاً
وتخطو إليه جريئاً
بغير التواء
فيُوصَدُ ألفُ طريقٍ عليكَ
وبابْ
تعيشُ على وهْمِ حُلْمٍ مضى
وبُقْيَا شبابٍ ذَوَى
وخلَّفَ فيك بصيصَ رُوَاءْ

***

وأنتَ حزينٌ حزينْ
يَشُقُّ عليك عبورُ السّنين

وخطوُ المساء
وخَبْوُ الضياء
وقد أثقلتك الهموم
وأدماك شوكُ الطريقِ
وما نِلْتَ
أو نلتَ
سِيَّان
كلٌّ سرابْ
وسِيَّان ما ذُقْتَ كالصّابِ
أو ذُقْتَ حلواً
كشَهْدٍ مُذَابْ

***

وتَعلمُ أنك نجمٌ
يُلَمْلِمُ ثوبَ الإيابْ
ومهما أطلتَ السِّفار
وشطّ عليك المزارْ
ومهما أطلتَ الغيابْ
فَثَمَّ رجوعٌ من الاغترابْ

دمشق ١٩٩٥/٦/٢٠

إلى الراحلة... الباقية

أأماه، حقاً رحلتِ؟
كما يرحلُ الفجرُ
من غير وعدِ
ومن غير همسٍ بلُقْيا
ومن غير حلم بعَوْدِ
وخُلِّفْتُ بعدك وحدي
أجوز فيافي التحدي
ومنفى الضياعِ
وشوكَ التردّي
ستعثر في المشي رجلي
ويربَدُّ ليلي
وأبدو كأني جفانيَ ظلّي
لقد كنتِ خطوي وظلّي
سأعبر بعدك دربَ العناءِ
وأضْنَى ببرد الشتاءِ
وصخرِ المسيرِ
وقيظِ العراءِ
وما في الطريقِ أنيسٌ

ولا قبسةٌ من ضياء
ولا همسةٌ من حنان
ولا رعشةٌ من وفاء

***

أحقاً رحلتِ؟
إلى عالم من صفاءٍ
وطهرٍ ورغدِ
وجاوزتِ خلفك دنيا شقاءٍ
وضنكٍ وسهْدِ
وتربةَ زيف دنيء
تردّت بشرٍ وحقدِ
جفاها الصباحُ
وجفت عليها أزاهيرُ ودٍّ
سموتِ إلى عالم ناضرٍ
تنزّه عن كلِّ وغدِ

***

رحلتِ
فما عاد يأتي الربيعُ
بهيجاً وضيَّا

وما عاد بدرُ السماءِ
يطلّ حنوناً
ضحوكَ المحيا
وما عاد شدو الكناري
كما كان
عذباً شجيّا
وكان ارتحالُكِ صعباً
كسيف صقيلٍ عليَّا

***

رحلتِ
وسوف يطول الفراق
وما بعده من مَرَدّ
وما بعده من وصالٍ
يُطَفِّئُ جمرةَ وجدي
ويُبْرِدُ في القلب وقْداً
يُرَى دونه
كلُّ وقْدِ
حزينٌ أنا
إن حزني

تغلغل في عمق جلدي
حزينٌ أنا
إن حزني
ينوء به كلُّ جَلْدِ
ولكنّ صبراً جميلاً
حَرِيٌّ بصاحب رُشْدِ
وإن احتساباً لأجر
شفيعُ الأسى المستبدِّ
ولُقْيا الأحبة وعْدٌ
وإن فرَّقتْهم
رياحُ النّوَى والتعدي

دمشق ١٩٩٥/٦/٢٠

النبأ العظيمُ

عَـرَتِ المذيـعَ حماسـةٌ فَغَلـى وأرعَـدَ واسـتَعَرْ
أخذتْـه حُمَّـى نشـوةٍ ثـمّ اسـتطار فمـا اسـتَقَرْ
عيناه جاحظتـان تخشـى منهمـا وَهْـجَ الشَّـرَرْ
لا بـدّ، أمـرٌ حـازِبٌ لا ريـبَ شـأنٌ ذو خَطَـرْ
وَسَـرَتْ لعـلَّ وربَّمـا فيمـنْ هنـالك قـد حَضَـرْ
فلعلَّـه نجـمٌ هـوى أو ربّمـا انشـقَّ القَمَـرْ
أو ربّمـا دنـتِ القيـا مـةُ، أو بـدا وجـهُ سَـقَرْ
أو ربّمـا عـدتِ العـرو بـةُ، كالسّـحابِ إذا انهمـرْ
فاسترجعتْ من كفّ صهـ ـيونَ البـداوةَ والحَضَـرْ
مـا عـاد شـبرٌ مـن بـلا د العـربِ في كـفِّ التتـر
مـا عـاد أقصانـا تُـرَ نّقُـهُ سـحاباتُ الكـدرْ
مـا عـاد محـرومٌ لدينـا أو أخـو ذلٍّ وَضُـرّ
وغـداً يَشُـدُّ القـومُ نحوَ القدسِ أطنابَ السَّـفَر
أو ربما رجعـوا ــ كمـا كـانوا ــ أساتذةَ البشـر

***

حَسَّـبْنا هـذا والمذيـعُ كأنَّـه أَسَـدٌ زَأَرْ
أَوْدَاجُـهُ منفوخـةٌ شـعرٌ تطـاير وانتَـثَرْ

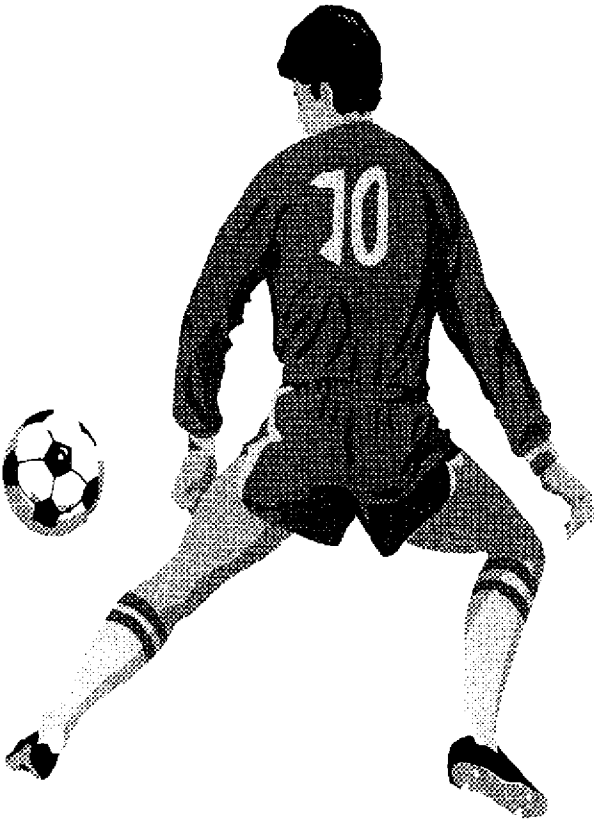
10

فُتِحَـــتْ عيـــونُ الرغبـــةِ اللهفـــاء تصطـــادُ الخـــبرْ
وتمسَّـــكَتْ أيـــدٍ بـــأذ يـــالِ المنـــادي فاســـتَقَرْ
سأل الجميـعُ وقـد تَخطَّـى القلـبُ أضـلاعَ الصَّـدرْ
سـألوا عـن النبـأ العظيـ ـمِ يَهُـزُّ إحسـاسَ الحجـرْ
فـإذا بـه مـا طـافَ في أُفُـقِ الخيـالِ ولا خَطَـرْ
وإذا التوقُّـعُ فـوقَ مـا كـانَ التَّوقُّـعُ والنَّظَـرْ
كرةُ القدمْ
رمـــزُ الحضـــا... رةِ والوثـوبِ إلى القمـرْ
خـــبزُ الجيـــاعِ
التـائهينَ علـى صخـورِ المُنْحَـدَرْ
كرةُ القدم
دخلـــتْ شـــبا كَ عدوِّنـا، يـا لَلْظَفَـرْ!

دبي: ١٩٩٥/١٢/٢٠م

رِثَايَةُ مُسْتَضْعَف

نقشتُ على نجمةِ الصبحِ
عاري، وخِسَّةَ شاني
وصِحْتُ وأنهارُ دمّي
تفيضُ بكلِّ مكانِ
وليلُ الثَّكالَى عبوسٌ
كئيبٌ، بطيءُ الثواني:
أنا مسلمُ الكَبْوِ، عرضي
رخيصٌ، مباحٌ لجَانِ
أنا مسلمُ العجزِ، ثوبي
دِثارُ العَنَا والتَّواني
أنا المُسْتَضَامُ، مهيضُ
الجناحِ، عَيِيُّ البيانِ
أنا المُسْتَبَاحُ، المُضَيَّعُ
في كلِّ أرضٍ ترابي
أنا طائرُ الذَّبحِ، كبشٌ
ذليلٌ لكلِّ جبانِ
أنا القدسُ هُنْتُ، وكنتُ
لديكم أجلَّ الأماني
أنا بُسْنَةُ الحزنِ، دمعيَ
من قلبِ جمرِ الهوانِ

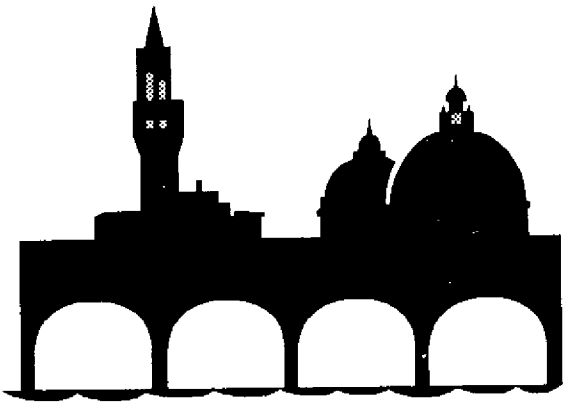

وشيشـــــانُ شـــــعبٍ ذبيـــــحٍ
علـــــى عـــــين قـــــاصٍ ودانِ
وكشـــــــميرُ مـــــــوتٍ وذلٌّ
وليـــــلٍ صليـــــبِ الجَنَـــــانِ
أنـــا يـــا صديقـــي هنـــا أو
هنـــاك المُعَنَّـــى المُعَـــاني
بحـــورٌ مـــن القهـــرِ أرضـــي
وأنهـــار دمـــعِ الغوانـــي
أنـــا لطخـــةُ العـــارِ والخـــزي
في وجـــهِ هـــذا الزّمـــانِ
أقـــولُ، وصوتـــي عقيـــمٌ
وخـــان البيـــانُ لســـاني:
تقـــرَّرَ ذبحـــي بليـــلٍ
جَفَتْـــه نجـــومُ الحَنَـــانِ
لأنّـــيَ مـــن دَوْحـــةِ الدِّيـــنِ
حـــرفٌ رهيـــفُ المَعَـــاني
لأنّـــي حنيـــفٌ، وقلـــبي
ريـــاضُ الهُـــدَى والقُـــرآنِ

دبي ١٤١٦/٨/١٥هـ

١٩٩٥/١٢/٢٥

رحلة القطار

متدافعـــاً يمضـــي القطـــارْ

كـــالموجِ مـــن جـــوفِ البحـــارْ

وعلـــى حِفَـــافَيْ دربـــه

وقـــف العســـاكرُ في انتظـــار

شَـــرَعُوا بنـــادقَهم لكـــي

يحمـــوه مـــن لفـــحِ الغبـــار

ومـــن الذبـــابِ إذا رنـــا

مـــن عـــن يمـــينٍ أو يســـار

ومـــن الهـــواء إذا دنـــا

ومـــن النســـيم إذا أغـــار

ولكـــي يَـــرُدُّوا العاديـــات

ويُوقفـــوا زحـــفَ النَّهـــار

***

يمضـــي القطـــارُ بـــلا وَنَـــى

يطـــوي المرابـــعَ والقِفَـــارْ

في رحلـــةٍ مرســـومةٍ

خُطّـــتْ بأرمـــاحِ الكبـــار

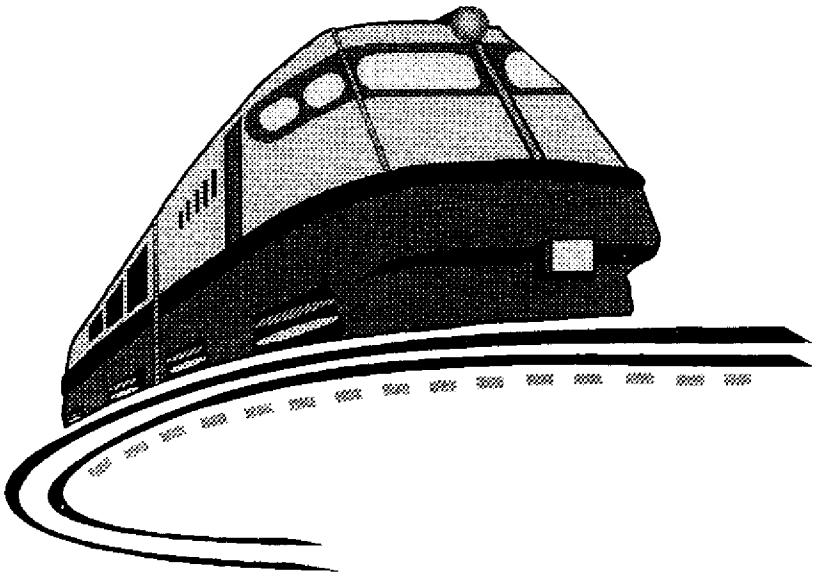

وتخـــــدَّرت فيهـــــا النفـــــو

سُ، كمـــا تُخَـــــدَّرُ بالعُقَـــار

نـــــامتْ علـــــى أنســـــامها

نـــومَ الغَرِيْـــــرِ المُسْـــــتَطَار

وإذا جفاهـــــــا النـــــــوم

أقعدهـــا التَّخَشُّـــعُ والصَّغَـــار

***

وجمـــــوعُ تغلـــــبَ حـــــيرةٌ

أخـــــذٌ، وردٌّ، واشـــــتجار

أبصارُهـــــــا زاغـــــــت

وأعشـــاها بريـــقُ الانبهـــار

هـــــانت رؤىً ومشـــــاعرٌ

فَوَّاحَـــــةٌ، وســـــنا فَخَـــــار

وعواطـــــفٌ مســـــفوحةٌ

بـــين الضلـــوعِ لهـــا اســـتعار

أهـــــل الحميـــــة تغلـــــبٌ

لم يُرْخِصُـــوا يومـــاً ذِمَـــار

مـــا شـــاقهم لحـــنُ الذخيـــل

ولا اســـتضاؤوا لـــه بنـــار

خرجـــتْ إليـــه مَشُـــوقَةً
ولْهَـــى، ممزّقـــةَ الإزار
مهوُوسَـــةً بعبـــوره
وتجمَّعـــتْ مـــن كـــلِّ دار
مثـــلَ الحصـــى، ورشـــيدُهم
حـــيرانُ مـــن حُمَّـــى السُّـــعَار

***

قـــالوا لهـــم، ومـــن الـــذي
يرتـــابُ في قـــول الكبـــار؟:
هيـــا اركبـــوا لجزيـــرةِ
المرجـــانِ والذهـــبِ النُّضَـــار
فيهـــا الســـلامُ مـــنْ العنـــا
وســـكينةٌ بعـــد السِّـــفَار
ركـــب الجميـــعُ يـــرون مـــا
شـــاءت لهـــم عـــينُ التتـــار
جفَّـــتْ عـــروقُ الحلـــم في
أضلاعهـــم، وخبـــا الأُوَار
وبـــدا لهـــم لحـــنُ الغريـــبِ
ألـــذَّ مـــن شَـــدْوِ الكَنَـــار

ذُبُلَـــــتْ زهـــــورُ الكبريـــــا
ءِ، نمـــتْ بـــــذورُ الانكســـــار
راحـــــت تَلُـــــمُّ تراثهـــــا
وتبيعُـــــه بيـــــعَ اتِّجـــــار
بخســـــاً، كأســـــقاط المتـــــاع
ومـــا وفَـــتْ أجـــرَ القطـــار

دبي : ١٩٩٦/١/١م

لو....

لو كنتُ يا أحبتي بلا لسانْ!
أو كانَ لي ألفُ لسانْ!
أو كان لي
في كل مجلسٍ لسانْ
يزوِّق الحديث...
يكسو القولَ ما في الدَّهرِ من ألوانْ
على هوى الرجال
والأحداثِ والأزمانْ
لكلِّ حادثٍ كلامْ
لكلِّ موقفٍ مقالْ
تقول: هذا بطلٌ
من أعجب الأبطالْ
ما مثلُه من حولنا الأبطالْ
دانتْ له السهولُ والجبالُ والوديانْ
ولم يَجُدْ بمثله هذا الزمانْ
وقد تقول في غدٍ
إنْ دالتْ الأحوالْ
وغُيِّبَتْ أشكالْ
وغَوَّرَتْ كواكبٌ
كانت تضيءُ جبهةَ المكانْ:

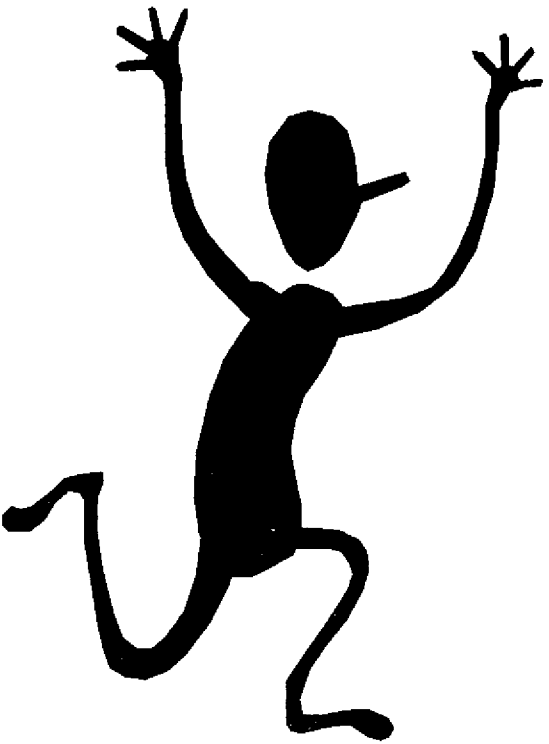

وغدٌ جبانْ
ما مثلُه جبانْ
مُجَوَّفُ الفؤادِ أرنبٌ
كأنه من طينةِ النّسوانْ!

***

لو كنتُ يا أحبتي
كالبهلوانْ
أُجيدُ ألفَ رقصةٍ
وأَحْذِقُ الغناءْ
وأُحْسِنُ المديحَ والهجاءْ
وأمتطي الحبالْ
في خفةِ القرودِ والغزلانْ
لـحُزْتُ مَعْقدَ الهنا
وفُزْتُ بالرّضوانْ
وفُتِّحَتْ في وجهيَ الأبوابُ
والأحضانْ

***

دبي : ١٩٩٦/١/٢٣م
١٤١٦/٩/٣هـ

المقتولُ القاتلُ

يا صديقي...

خـانك العشـقُ وجَفَّـتْ كـلُّ هـاتيك السـنابل
وتَنـامى حولـك البغـضُ وأدمتْـك الصيـاقل
جمعـوا حقـد أبـي جهـلٍ وجـاؤوا بالمعـاول
ووحيـدٌ متعـبٌ في الـدربِ تقصيـك القبـائلْ

***

لم يَعُـدْ مـن ملجـأ يحميـك مـن تلـك الجحـافلْ
قـد جفـاك الأهْـلُ والأدنَـوْنَ، بـاعتك القوابـلْ
صـرت رجسـاً تشـتكي منـه الرزايـا والرذائـلْ
ومضـى يزعـم وغـدٌ وبغـيٌ ومُخَـاتِلْ
أنـك الشـيطانُ، والشـيطانُ بـالحُمْلان نـازل

***

يا صديقي

ألـفُ قيـدٍ صفَّـدَتْ كفيَّـك، أدمتْـك السَّلاسـلْ
أنـت مرصـودٌ صباحـاً ومسـاء وأصـائل
وعلـى عـينٍ لهـم تخطـو إلى كـلِّ المحـافلْ
كلبُهـم يشـتم مـن برديـك مسـتورَ الدخـائلْ
كـلُّ سـر ذائـعٌ لـو كـان في قـاع الأنـاملْ

***

يا صديقي....

أنـــــت مكســـــورٌ، بقايـــــا مـــــن مفـــــاصلْ
أنـــــت مســـــكون بهـــــم تشـــــتكي منـــــه الجنـــــادلْ
أنـــــت مـــــأكولٌ كفـــــرخٍ ثـــــمَّ قـــــالوا: أنـــــت آكـــــلْ
أنـــــت مقتـــــولٌ، ولـــــن تنجـــــو، وقـــــالوا: أنـــــت قـــــاتلْ

***

يا صديقي!

أيهـــــا المتبـــــوعُ في كـــــلِّ الخنـــــادقْ
لا فـــــرارٌ، أنـــــت مطلـــــوبٌ إلى كـــــلِّ المشـــــانقْ
وعلـــــى مَرْمَـــــى ذراع مـــــن رصاصـــــات البنـــــادق
أنـــــت لا حـــــسٌّ، جريـــــحٌ في الـــــدّمِ المســـــفوح غـــــارق
أنـــــت عُريـــــانٌ ومهضـــــومٌ، وقـــــالوا: ذو ســـــوابقْ
أنـــــت منهـــــوبٌ ومســـــروقٌ، وقـــــالوا: أنـــــت ســـــارقْ
أنـــــت مكتـــــومٌ ومخنـــــوقٌ، وقـــــالوا: أنـــــت خـــــانقْ

يا صديقي

أنـــــت مشـــــنوقٌ، وقـــــالوا: أنـــــت شـــــانقْ

دبي: ١٤١٦/١٢/١٨هـ

١٩٩٦/٥/٨م

أغنيةٌ لمولود قادم

غرِّد يا طيرُ على داري
تمتمْ يا صبحُ بأخباري
أشرقْ يا نجمَ السّعدِ
وابسمْ يا فجر الوعدِ
أعلن ميلاد الفرحةْ
وغدٍ نَضْرِ
يلغي ليلَ التَّرْحَةْ
يتخلَّقُ في رحم امرأتي الفَلَقُ
طفلٌ يأتي
يزهو منه الأُفُقُ
وتزغرد نشوى من طربٍ طُرُقُ
ويضيء بمَقْدَمِهِ الغَسَقُ

***

هذا الآتي
هبةٌ عظمى
وسَنَا زاهٍ خَضِلُ
وهو الأملُ
وهو المعنى مني

وهو الشَّكل
ورُنُوِّي نَحْوَ صباحٍ يبتسم
فيه شوقي وحنيني والحُلُم
لغدٍ بسَّامٍ يقتحم
فيُشَلُّ الليلُ وينهزم
يا آتٍ يحمل أسرارا
في ظهرِ الغيبِ، وأخبارا
تأتي وسمانا غائمةٌ
ما عادت تعرف أقمارا
جافتها الأنجمُ في ليلٍ
وعَدَتها الشمسُ نهارا
ما عدْتَ ترى فيها نَسْراً
جذلانَ
يجرُّ الذيلَ فخارا
القومُ رؤوسٌ قد نُكِسَتْ
سُقِيَتْ ذلاً
رضعَتْ عارا
والعالم في سفنٍ طاشتْ
يمضي مجنوناً محتارا

***

لكنْ
يا طفلي القادمَ كالفجرِ
غسلته أنداءُ الطهرِ
لاقيتُك في الرُّؤيا
كالفارس...
في ليل القهرِ
ورأيتك تشرقُ في عمري
مثل البدرِ
وضِيَا نَجْماتٍ زُهْرِ
فَتُجدِّدُ لي عمري
لاقيتُك تُوْقِدُ لي حُلُمَا
أن يشرق فجرٌ موعودٌ
يُرْدِي الظُّلَمَا
ويفوحُ الكونُ به عَبَقاً
ويغرِّد طيرٌ مبتسما
فتدِبُّ حياةٌ في أرضٍ
كانتْ عَدَمَا

دمشق ١٩٩٦/٥/٢٥م

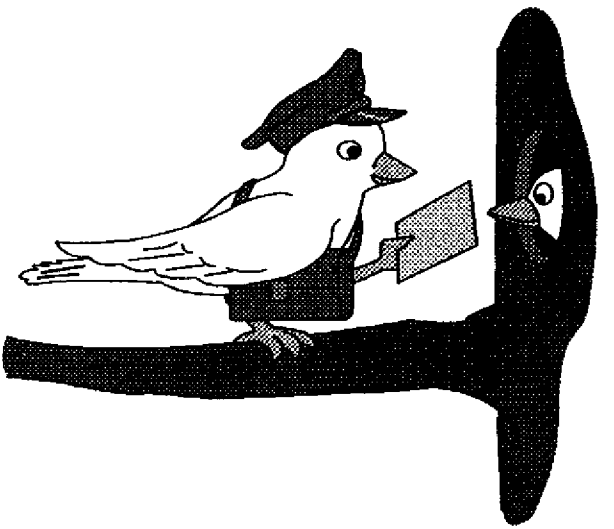

رسالةُ شوق

مضى شهر
بطيئاً، واهنَ الخطواتِ
أحسبُ أنه دهرُ
على بُعْدِ الأحبةِ
والنَّوَى جمرُ
ووَقْدٌ في الحشا
يَنْفَتُّ من تلهابِهِ الصخرُ
ولم أَعْتَدَّه شهراً
فكلُّ سُوَيعةٍ
كانت تمرُّ كأنها الشهر

***

حرِمْت بهاء طلعتها
وكم طلعتْ
فأشرق في الدُّجا بدرُ!
وكم ضحكتْ
فلاح سنا
وفاح شذا
وأرسل طِيْبَه العطرُ!

وكم همستْ
فكان الشدوُ، والشَحرورُ، والشِّعرُ
وكم نظرتْ
فذُبتُ هوىً
وفِضْتُ جَوَىً
وناداني إلى أحداقها السِّحْرُ
فسافرتُ، وأوغلتُ
وأغرقني على شطآنها البحرُ
رَوَتْ ظمأً
هَمَتْ عبقاً
حلا من شَهْدِها العمرُ

***

مضى شهرُ
على بُعْدِ الأحبةِ
والنَّوَى سيفُ
وبرقٌ يَخْطَفُ الأبصارَ
يأتي بعدَه الخَسْفُ
وكنتُ أراكِ
إذ أصحو

وإذ أغفو
أضمُّ عليكِ أوردتي
ويسهرُ فوقَكِ الطرفُ
فيزهو عالمٌ حولي
ويغمرني به الدِّفءُ
يزقزق خافقي طرباً
كما العصفورُ
إذ يهفو
يسافر نصفُه عجِلاً
إليكِ
ويلحقُ النِّصْفُ
وأوشكُ من ورائهما
يُطَيِّرُني لكِ اللَّهَفُ
أطيشُ، أخِفُّ
ما يوماً عُرِفْتُ
بأنني خِفُّ

***

مشوقٌ يا منى قلبي
إلى دفء اللقاء

ورعشة الحبِّ
إلى ما كان يجمعنا
على درب الهوى الرَّحْبِ
إلى أشواقنا الحَرَّى
إلى أحلامنا النشوى
تُفَجِّرُ عالم الخِصْبِ
وتُجري العشقَ
والينبوعَ
في صخر المدى
الجَدْبِ

***

دبي ١٩٩٧/١/٢٧م

وداع

عَـبَرْتِ في العمـر رَيْحَانـاً ونِسْـرِينا
مـررتِ كـالطيفِ، خَطْفـاً في روابينـا
وزُرْتِ زَوْرَةَ مشـتاقٍ أخـي عجـلٍ
ورُحْتِ كـالحُلم نحكيـهِ ويحكينـا
مـا كـاد طفـلُ الهـوى تبـدو ملامحُـهُ
حتـى انطـوى، فطـوى أفراحَـه فينـا
قـد كنـتُ أعلـمُ أنّ الحـبَّ نسـرِقُه
مـن الزّمـانِ، وقـد نـامتْ أعادينـا
مـا عـدتُ منـذ التقينـا صخـرةً، فأنـا
نـارٌ، وأُضـرِمُ مـن حـوالي براكينـا
مـا عـدتُ منـذ التقينـا كاليبـابِ، أنـا
خِصْبٌ، وأُنْبِتُ في الجَدْب الرّياحينـا
إذ كنـتِ إمـرأةً مـا مثلُهـا امـرأةٌ
بل كنـتِ أعـذبَ مـا يـروي محبُونـا
إنّ الغـرامَ أفـانينٌ وأوديـةٌ
جمعـتِ لمّـا لقِينَـاكِ الأَفَانِينَـا

***

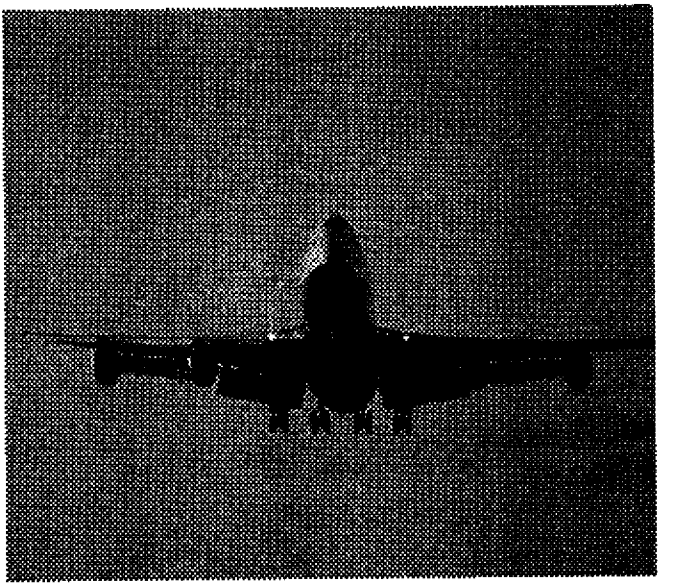

يـا آخِـرَ امـرأةٍ أهـوى وأوّلهـا
أنـتِ النهايـةُ، لَمْلَمْنَـا مراسـينا
إذ ترحلينَ، فما أخرى، وإنْ حَسُنَتْ
وزيّنَتْ مـن سـناها البـدرَ تزيينـا
تَحُلُّ في القلبِ، أو تهدي العيون ضِيَا
أو تستبيحُ الـذي كنـتِ تُبيْحِيْنَـا

رسالة إلى امرئ القيس

أبوك امرأ القيس حُجْرٌ
تجدّل فوق الرّمال
وقد ضرّجته السيوفُ
وقد مزّقته النِّبالْ
ومُلْقىً بصحراء نجدٍ
ككلبٍ فطيسٍ
وفرّ كمثل النساء
جميع الرجالْ

***

أبوك امرأ القيس حُجْرٌ
تمزّق بطناً وظهرا
وسالت دماه كنبعٍ غزيرٍ
تجمّع بحرا
وتنهش فيه الكلابُ
ويغري على الأكل
ذئباً وصقرا
ورمل الصحاري جحيمٌ
توقّد جمرا

وأنت بعيد ... بعيدٌ
شُغِلتَ زماناً
وغُيِّبْتَ دهرا
وما زلتَ تهزلُ
ما زال ليلُك خمرا
وما زال صبحُك سُكْرا
وما زلتَ تمضي على العهدِ
لهواً وقَصْفاً وعهرا
كأنْ ليس ذاك القتيلُ
أباك
الذي نِيْلَ غدرا
كأنْ ليس ذاك القتيلُ العزيزُ
أباك امرأ القيس
حُجْراً

***

وتلك ديارك ثَكْلَى
وتلبسُ ثوبَ الحِدادِ
وعار الأبدْ
فذاك أبوها طليلاً

ولم يأخذ الثأرَ منكم ولدْ
أطاحت بحجر
أباحت حماكم
جموعُ أسدْ
وراحت تغِذّ المسير
وما أقلقتها خيول أحدْ
سُراها يسيرٌ إلى دوركم
ودربُ الصَّعودِ رَغَدْ

***

على الجانبين جموع أبيك
كمثل التراب عَدَدْ
وفيهم كعدّ الرمال
عُدَدْ

***

لأنك عنهم قصِيٌّ
وقلبُك في الغيد رَهْنٌ
وما فيهمُ منك إلا جسدْ
فهذه الجموعُ الغفيرةُ
مثلُ الزبدْ

***

متى يا امرأ القيس تصحو
وتعرف درب الرَشْد؟
متى تذهب الخمر عنك
وتدري بما دبّرته أسد؟
متى يعرف القوم
أنك تزْمع أمرا
وأنك تذكر عهدا
وأنك لم تَسْلُ حُجْرا؟

دمشق ٢٥/٨/١٩٩٧م

مَودّة[1]

فرحٌ هَمَى
هديةٌ مرسلةٌ من السَّما
مثلُ الصباح بهجةً
أضاء فيّ الظلما
مولودةٌ
شَعَّتْ بهاءً وسَنَا
ضاعتْ عبيراً ومنى
إن الدّنا
من حولنا
غيرُ الدّنا

***

سميتها مودّةْ
فاحت كعطر وردةْ
بهيّةً وضيئةً
كأنها الملاكُ إن تبدّا
أمدّها من جودِهِ ربّي
بما أمدّا
إذا شدتْ
كأنما استعار منها الكونُ شَدْوَهْ

---

(١) ابنة الشاعر

وإن بدتْ
كأنما أبدى الجمالُ عن حجابٍ
خَدّهْ
وإنْ عَدَتْ
كأنما استعار منها الحُسْنُ عَدْوَهْ

***

أَتَتْ من اللهِ هِبَة
ومنحةٌ علويّةً
كأنها عَوْد الصّبا
أو نفحةٌ قدسيةً
يعود فيها العمر
روضاً مُخْصِباً
ترقرقت في جَدْبنا
دفئاً ويُسراً وغِنى
ثم هَمَتْ كديمة
عشقاً وحبًّا وَهَنا

***

ما أحدٌ في بيتنا
إلا غدا مودَة
براءة ووجدا
طفولةً غامرةً وسَعْدا

سماحةً وفرحةً وعشقا
نبعاً ثرياً صافياً
وكوثراً وصدقا
تدفّقتْ كجدول من الندى
وأوقدتْ حلماً قديماً
ذا صدى
إن تبتسمْ
يبسمْ لنا وجهُ المَدَى

دبي ١٩٩٧/١١/١١م .

الغائبُ

أيُّهـــا الغـــائبُ مـــاذا غيَّبَـــكْ؟
أأضعـــتَ الـــدرب أم قـــد ضيَّعَـــكْ؟
دربـــك اللاحـــب مـــا أخطأتـــه
والقتـــاد المـــر يدمـــي قدمَـــكْ
طالمـــا قـــد جزْتـــه مستبســـلاً
لم يكـــن شـــيءٌ ليثـــني عزمتـــك
مـــالك اليـــوم شـــروداً حـــائراً
فُـــتَّ نـــوراً طالمـــا قـــد غمـــرَكْ
تضـــرب التِّيـــهَ ولا تـــدري المـــدَى
أيُّ بـــرقٍ خلـــبٍ قـــد فتنـــك؟
حلمـــك الـــوردي أضحـــى مزقـــاً
خنقتـــه كـــفُّ دهـــر خَذَلَـــكْ
أنـــت جـــرحٌ راعـــفٌ يهمـــي دمـــاً
لا تـــرى كفـــاً حنونـــاً هَدْهَـــدَك
تحْبِـــس الشـــهقة في الحلـــق، وإن
غيَّضـــتْ كـــالنبع منهـــا مدمَعَـــكْ

***

أيهـــا الفـــارس مـــاذا غـــيَّرك
لم يَعُـــدْ صَيْـــد الغـــوالي مَطمَحَـــك
كنـــتَ عزمـــاً بـــاللَّظى ملتهبـــاً
ووثوبـــاً فـــوق هامـــاتِ الفَلَـــكْ

كنـــت ذا نفـــسٍ طمـــوحٍ حـــرّةٍ
أيُّ سفســـافٍ رخيـــصٍ شـــغلكْ؟
كـم صحبـتَ النَّجـمَ في هـام العـلا
ومضـــى يرفـــعُ زهـــواً مـــئزرك!
كـم تغنّـى بـاسمك المجـد، وكـم
اِشـــتهى مـــن عشـــقِهِ أن يتبَعَـــكْ
مـــا وردتَ النبـــع يومـــاً كـــدِراً
غـــيرُ عـــذب لا يُـــرَوِّي ظمـــأك
وأراك اليـــوم شـــاةً رُبطـــتْ
وتشـــهّى كـــلُّ بطـــنٍ مـــأكَلكْ
أيُّ شِـــعْرٍ يتلظّـــى في دمـــي
ثـــمّ لم يبلـــغ صـــداه مســـمَعَك

***

أيُّهـــا الفـــارسُ هـــانت همّـــةٌ
وعـــراك الوهْـــنُ حتـــى أذهلَـــكْ
أنـــت ســـطرٌ في كتـــابٍ مهمـــلٍ
كـــلُّ مـــنْ ألقـــاه منهـــم جهلَـــك
لم تعـــدْ نســـراً، وكـــم نســـرٍ بغَـــى
أن يجـــوزَ الشـــمسَ كيمـــا يتبَعَـــكْ
أنـــت في القـــاع رضِـــي، ولكـــم
عِفـتَ يومـاً في سـفوح مضجَعَـكْ
وئـــد الحلـــم الـــذي غازلـــته

ذات صبـــحٍ وانثنـــى مـــا بلغـــك
أيُّ دهـــرٍ يـــا صديقـــي فـــاجعٍ
يُمســـك اليـــوم بكـــفٍّ عُنُقَـــكْ؟

***

رجعـــةُ الغـــائب ليســـت حلمـــاً
إن ســـألت اللّـــه أن يَصْطَحِبَـــكْ
وقبســـتَ الهـــدي مـــن مشـــكاته
ثـــمَّ خلَّفْـــت الـــذي قـــد خَتَلَـــكْ

***

دبي : ١٤١٨/٩/١٨هـ

١٩٩٨/١/٢م

عاشقٌ نبيل

عاشــقٌ أنــتَ كالصَّبــاحِ نبيــلُ
صــادقُ العشــق ذا الزمــانَ قليــلُ
يُضْــرِمُ الحســنُ في خلايــاك نــاراً
لا تُطَفَّــى، ولا يكــونُ غليــلُ
عاشــقٌ يُنْبِــتُ الجمــالُ ورداً
في حنايــاكَ، يهطــلُ السلســبيلُ
كلمــا لاح طيــفُ هنــدٍ صبوحــاً
كــان حقــلٌ، وغابــةٌ، ونخيــلُ
فــاحَ مــن حولِــك الصبــاحُ أريجــاً
أخصــب العمــرُ: سـفحُهُ والسُّـهولُ
طِــرْتَ شــوقاً إلى فضــاء فسـيحٍ
واعْــتَرَى حِلمَــكَ الرَّشــيدَ ذُهُــولُ

***

عاشــقٌ أنــتَ كــالنجوم صفــاء
ومــن العاشــقين حِــبٌّ مَلُــولُ
قــد تَدَثَّــرتَ بالوفــاء، ودهــرٌ
مــا تــرى قــد يُــلامُ فيــه الأصيــلُ

والـذي قـد عشـقتَ بـرقٌ خلُـوبٌ
يَرجـعُ الطـرفُ عنـه، وهْـوَ كليـلُ
والـذي قـد عشـقتَ نسـرٌ شـريدٌ
وإلى دَرْكِـهِ تُتُـوهُ السَّـبيلُ
قُلَّـبُ الـرأي والهـوى، بـل مَلُـولٌ
غيمـةُ الصَّيـفِ عشـقُها مسـتحيلُ

***

لا تغـامرْ، مـا أنـت صـاحبُ غـوصٍ
وهنـا البحـرُ يـا صديقـي طويـلُ
إن يكـنْ أَوَّلٌ فـلا انتهـاءٌ
خطـوةٌ بعدهـا يَعِـزُّ القُفُـولُ

دبي : ١٩٩٩/١١/٢٠م

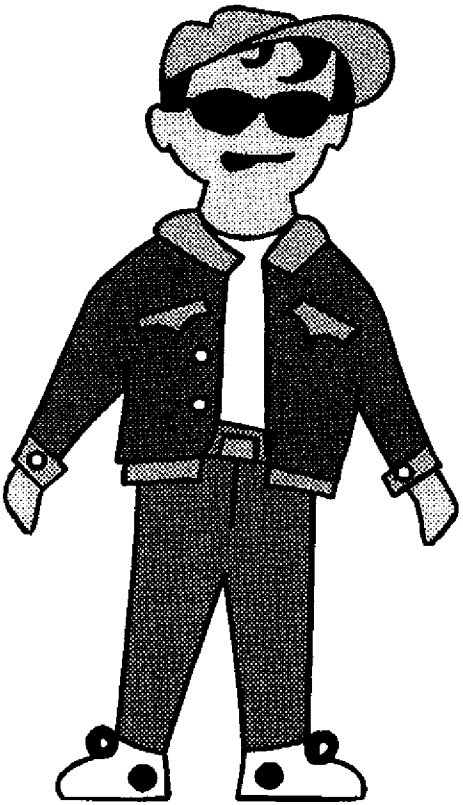

الطِّفلُ الكَذّاب

لمّا كُنّا أطفالاً
كان بحارتِنا طفلٌ
لا يشبه كلّ الأطفال
يزهو مثلَ الطاووس
ويمشي مثلَ الأبطالْ
يحكي أقوالاً زاهيةً
لا تشبهُ ما يحكي الأطفالُ
من الأقوالْ
وَيقُصّ حكايا شائقةً
فيها قيلٌ
فيها قالْ
تَسْبي منا الألبابْ
يُدْعى فينا الولدَ الكذّابْ
لا يُنسى
يعرفه جمعُ الأصحابْ
يمشي فيقال:
أتى الكذّابْ
ذهب الكذّابْ

***

وكبرت
ذهبت إلى شيخ الكُتّابْ

عُلِّمْنا أنّ الكِذبَ حرامْ
جِدُّ حرامْ
صِفةُ الفُجَّارْ
لا يكذبُ إلا الأشرارْ
ولدي، احذرْ
الكِذْبُ خرابْ
بالكِذْب تُرى الجنّاتُ يَبابْ
ويُغَشِّي وجهَ الشمسِ حجابْ

***

راحتْ تمضي الأيامْ
سِنَةً من نومِ
أو مثلَ الأحلامْ
رفعت ناساً
وضعت ناساً
داستْهم بالأقدامْ
ومضى في اللجَّة قومٌ
تعرُكُهم كفُّ زحامْ

***

جُزْنا سِنَّ الأطفالِ
وسِنَّ شبابْ
ونسينا ـ أو كدْنا ننسَى ـ
الطفلَ الكذاب

حتى جاءت أخبارٌ
عن أخبار... عن أخبارْ
تحكي آلاف الأسرارْ
فيها عَجَبٌ وعُجَابْ
أعلى من نجمٍ
فوق سحابْ
صار الطفلُ الكذَّابْ

***

دبي : ١٤١٩/٨/١١هـ
١٩٩٨/١١/٣م

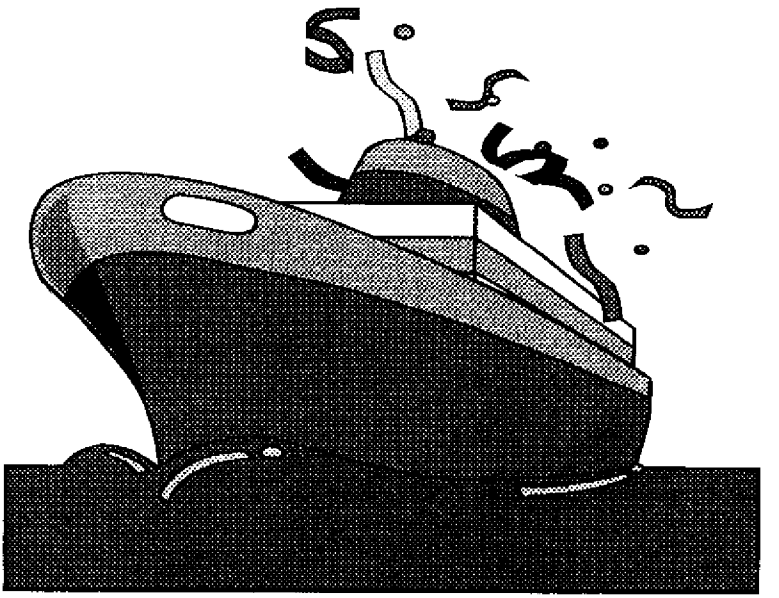

ارتحال

إذا مـــا ســـألتِ الأخِـــلاّءَ عـــني، وقـــالوا: رحـــلْ
تـــردَّى مـــن الليـــل ثوبـــاً كثيفـــاً، عليـــه انســـدلْ
وراح يُغِـــذُّ المســـيرَ ويركـــبُ ظهـــرَ العجـــلْ
مضـــى، لم يُحَـــيِّ، ولم يُقْـــرِ منـــه السَّـــلامَ طلـــلْ
فـــلا تحســـبيه اجتـــواءً ولا تحســـبيه ملـــلْ

***

إذا مـــا خرجـــتِ لتســـألي عـــني، وقـــالوا: ارتحـــلْ
يغـــالبُ دمعـــاً جســـوراً تفلَّـــتَ، ثـــمّ انهمـــلْ
إلى غايـــةٍ كالسّـــراب وليـــتَ ســـواها بَـــدَلْ
ودربٍ كئيـــبٍ عســـيرٍ المســـالكِ مثـــلِ الجَبَـــلْ
فـــلا تحســـبيه هروبـــاً تحســـبيه حِـــوَلْ

***

فمـــا مـــرّ يـــومٌ جفـــاكِ ومـــا مـــرّ يـــومٌ خَـــذَلْ
ولا مـــرّ يـــومٌ وكـــان لـــه في ســـواكِ أمـــلْ
ولا قـــد سَـــبَتْهُ حِسَـــانٌ ولا تيَّمَتْـــه مُقَـــلْ
تحمَّـــل دهـــراً، ولـــو كـــان صخـــراً هـــوى مـــا احتمـــلْ
ومـــا زلـــتِ أنـــتِ هـــواه وصبًّـــا بكـــم لم يَـــزَلْ
وكـــلُّ طريـــقٍ إليـــكِ وعنـــكِ إليـــك ارتحـــلْ

دبي: ١٤١٩/٨/١٤هـ

١٩٩٨/١٢/٣م

الفارس

يَجْبَهُ الطُّوفانَ وحدَهْ
أممٌ تُحْشَدُ ضِدَّهْ
ساقها حقدٌ قديمٌ
لم تزلْ تُشْعِلُ وقدَهْ
أقبلتْ كالموج تَتْرَى
في غرورٍ كي تَصُدَّه
مثلَ كابوسٍ تراه
وتخاف اليوم مدَّه
هاجسٌ تَصْطَكُّ منه
أن يُعيدَ الدّهرُ عهدَه
مثلما كان ربيعاً
ويَشُمُّ الكونُ وردَهْ

***

وعلى وَهْي قواه
لم يَفُلَّ الدهرُ حدَّهْ
خائرُ العزم شَتِيْتٌ
ويخاف الكونُ رعدَهْ
كلما قَصُّوا جناحاً

من جناحَيْه استجدَّه
قد ألانَ القيدَ حتى
لم يَعُدْ قيدُه قيدَهْ
وهو يمضي في شموخٍ
ولهم صَعَّر خدَّه
لم يكنْ يوماً ذليلاً
تَحْسَبُ السيِّدَ عبدَه

***

سوف يأتي ذاتَ يومٍ
لن يُرَى يُخْلِفُ وعدَهْ
صاعِداً يَرْقَى بعيداً
يحضن البدرَ مخدَّهْ
سابحاً فوق الثُرَيّا
تَقْدَمُ الأفلاكُ وفْدَهْ
إنه كالشمس إذ
ينساحُ، لا تستطيعُ ردَّه

***

دبي : ١٤١٩/٩/١هـ

١٩٩٨/١٢/١٩م

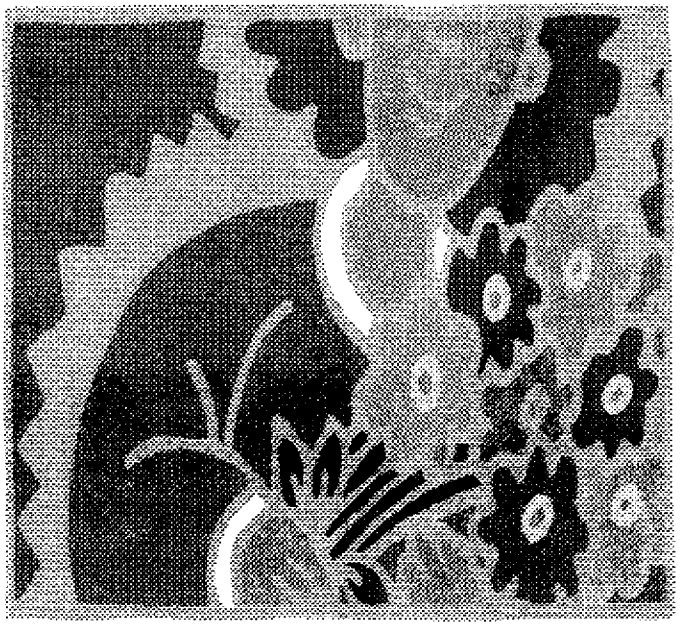

حُلْم

عبورِكِ العمرَ حلمٌ، مرّ كالحُلُمِ
وأضرم النارَ في أوردتي ودمي
قد عشتُ عهداً به هيمانَ من طربٍ
ثمّ انطوى كوميضِ البرق في الظُّلَمِ
قدِ انطوى وضلوعي بعدُ ظامئةٌ
إلى حنانِكِ، مثلَ الجَدْبِ للدِّيَمِ
خلَّفتِني واحداً والدّربُ موحشةٌ
تركتِني جائعاً أقتاتُ من سأمي
يا أنتِ، يا امرأة، كالسِّحرِ فاتنةً
أحْيَيْتِ فيْ دميَ الأشواقَ من عَدَمِ
رَدَدْتِني لزمانٍ كالربيع جَنىً
وهدهدتْ كفّاك من جرحي ومن ألمي
قد عشتُ فيك كأنَّ العمرَ قد ضحكتْ
فيه الليالي، وجادتْ كفُّ منتقمِ

دبي : ١٩٩٨م

حكاية صلاح الدين

لمّا كُنَّا نحيا في فجرٍ من أحلامْ
ولنا آمالٌ زاهيةٌ
مثلُ الصبحِ البسّامْ
نسعى كي نقطِفَها
لو كانت في أحضان الشمسِ تنامْ
أحببنا كلَّ فتىً شهمٍ مقدام
وحَلَمْنا أن يأتي يومًا
غيثاً من قلبِ غمامْ
فتثور الأرضُ
يضجّ الكونُ
ويصحو من نامْ
كي يرفعَ رأساً منا
داسته آلافُ الأقدامْ

***

أحببنا صلاحَ الدينِ
وقالوا
إنّ صلاحَ الدِّينِ هُمَامْ
بطلٌ، مثلُ السيفِ البتّار
يحمي حقلَ الأعمامِ
ودارَ الخالِ

وبيتَ الجارْ
ويَرُدُّ الذئبَ عن الأبقارْ
جبلٌ في وجهِ الفُجَّارْ
النّخوة تجري في دمِهِ
مثلَ الأنهارْ
ردّ الأقصى وفلسطينَ
من كف الأشرارْ
أحيا العزمَ الخَوَّارْ
وأعاد النبضَ إلى الأمواتْ

***

عُلِّمنا تاريخ الرجلِ المغوارْ
وحكايا عنه
تملأ رأسَ الدهرِ فخارْ
ويُرَى منها في قلبِ الصخرِ
نباتْ
عُلِّمنا آلافَ الصَّفَحاتْ
فخبرنا مولدَه
وعرفنا سيرتَه
من أين نما؟
أو كيف سما؟
وقرأنا أن جدودَ صلاحٍ

تُعْرِق في السنواتْ
بَذَرَتْ في أرضِ العربِ بذوراً
من فتيان
من فتياتْ
وصلاحٌ من هذي البَذْراتْ
لكنْ لم نعلمْ يوماً
أنّ صلاحَ الدينِ
عقيماً ماتْ

***

دبي : ١٤رمضان ١٤١٩هـ

١٩٩٩/١/١م

من أقوالها

ما مرّةً قرأتْ عيوني
واستبانت خلف جَفْنَيَّ التعبْ
ورأتني أغرق في همومٍ
لافحاتٍ
مثلَ ألسنة اللهبْ
قلقي يكاد يطلُّ من صدري
ويُضنيني النَّصَبْ
حيرانَ، أو ظمأنَ
لا أرْوَى
ولا أدري السببْ
إلا رنتْ
خلفَ السّحابِ وتمتمتْ
لم أدرِ ماذا تمتمت
ولعلها قد عوّذتْ أو حَوْلَقَتْ

***

يوماً سألتُ فجمجمتْ
لكنها لمّا رأتْ لَهَفِي إليها
أفصحتْ

قالت: عجبتُ لأمركم
كلَّ العجبْ
قلقٌ، وشكٌّ، وسَغَبْ
جَرْيٌ كما تجري الوحوشُ
بلا أربْ
سأمٌ، وهَمٌّ، وضَجَرْ
والليلُ جافاه القمرْ
ما عاد يُرضي واحداً
جَنْيٌ جناه
وإنْ كَثُرْ
ما عاد يقنع بالـمُـتَاحِ
وإنْ سترْ
أين السكينةُ والصَّفا؟
أين القناعةُ والرّضى؟
عهدي بجدِّك
زادُه مثلُ الكَفَافِ
وقد شكرْ

دبي: ١٤١٩/١٠/٢٣هـ
١٩٩٩/٢/٨م

الحجر

قـالتْ وعيناهـا ربيـعٌ أخضـر
وبيـادرٌ، وسـنا النجـومِ، وأَقْمُـر
ولصوتها شجو الطيورِ وسـحرها
سـبحانه، بَـرَأَ الجمـالَ مصَـوِّر:
أحببتُ مـن زمـنٍ ورحـتُ أُسِـرُّه
لكنـه في كـلِّ يـومٍ يكـبُرُ
حتـى غـدوتُ ومـا أطيـقُ تصـبُّراً
قـد كنـتُ أحسـب أنـني أتصـبَّرُ
كتَمتُـه حتـى كـوى مـني الضلـوعَ
وصـار جمـراً في عروقـي يَسْـعَرُ

***

لمّـا غـدوتُ ـ كمـا تراني ـ زهـرةً
ولسـوف أذبُـلُ إن بقيـتُ وأَصْغُـرُ
سـاءلتُ نفسـي والهـوى متضـرِّمٌ
حتـى متـى أُخفيـه عنـه وأَسْـتُرُ؟
إنّ الكـلام مُحَبَّـسٌ فـوق اللسـا
نِ، ولا أُطيـق، يكـاد مـني يَنْفِـرُ

***

وَرَنَـــتْ إلى عيـــنيّ نظـــرةُ حـــالمٍ
فحسِـبتُ أنـي قـد أذوب وأُصْهَـرُ

قالت: أتعرف مـن أحـبُّ، وصـارَ لي
سَـيْداً، ويَنْهَـــى إن يشـــاءُ ويـــأمرُ

أتريـد تعـرف مـن عشـقتُ، وإنـه
حَجـرٌ أصَـمُّ، فـلا يحـسُّ ويشـعر؟

نظـرتْ طويـلاً في عيونـي، لم أُطِـقْ
أحسســتُ بركــان الهــوى ســيُفَجَّرُ

***

أطرقـت أخشـى أن يفجِّـــر بوحُهـا
حجـري، فيهمـي بـالحنين ويغمُـرُ

قلـبي الـذي حسِبَتْه صخـراً جلمـداً
ظَنَّتْـــه لا يهفُـــو ولا يتـــأثَّرُ

دبي: ١٤٢٠/٢/٩هـ

١٩٩٩/٥/٢١م

الربيعُ والخريف

تقـولُ: أحبَبْـتُـني تلـك الصغـيرةْ
يُزَقْـزِقُ قلـبي، يُغَنِّـي حُبُّـورا
يصفِّـقُ في جـانبيَّ الصبـاحُ
ويسـكبُ فِـيَّ الشـبابُ سـعيرَهْ
أصـير فَتِـيًّا كـبُرعمِ وردٍ
كـأنَّ الزمـانَ يُعيـد مسـيرَةْ
أطـيرُ إلى جنَّـةٍ مـن طُيُـوبٍ
وأُوْغِـل في الوهـمِ، أُضْحي أسـيرَهْ
فقـاطِفُ هـذا الجمـال أميـرٌ
ويصْغِـر قـومٌ لديـهِ الأميـرا

***

ولكـنّ صوتـاً مـن الوعـي يـأتي
يَقُـصُّ لحلـمٍ وليـدٍ جُـذُورَهْ:
أيـدركُ شمسـاً نُجَيْـمٌ يُوَلِّـي
ويلحـقُ خَبْـوُ الضيـاءِ بُهُـورَهْ؟
لمـاذا تحبِّينـه يـا صغـيرهْ
وأيُّ ضـلالٍ يريْـكِ غُـرورَهْ؟
ألسـتِ تريـن خريفـاً يسـافر
يسـحبُ في الليـل وهْنـاً سُـتورَهْ؟

وأنـــتِ بـــزوغُ ربيـــعٍ جديـــدٍ
يُرَقْـرِقُ في الأفـــقِ زَهْـــواً عبـــيرَهْ
لمـــاذا يحـــبُّ الصُّعـــودُ الهبـــوطَ
ويَجْفُـــو طريقـــاً لـــه مســـتنيرَهْ؟
وأنـــتِ علـــى شـــطِّ بحـــرٍ عميـــقٍ
ولَـــن يســـتطيعَ إليـــكِ عبـــورَهْ
فللمـــوجِ صفـــعٌ يثـــيرُ البلايـــا
وينـــثرُ فـــوقَ الطريـــقِ ثُبُـــورَهْ

***

وليـــدةَ فصـــلِ الربيـــعِ تَنَحَّـــيْ
وخلِّـــي الخريـــفَ يعـــاني مســـيرَهْ
لِقَـاكُمْ ـ كمـــا تعلمـــينَ ـ مُحـــالٌ
ســـيغلبُ عُســـرُ الطريـــقِ يســـيرَهْ
ولـــن يســـتعيرَ الخريـــفُ الربيـــعَ
ولـــن يلتقـــيْ الثلـــجُ وقْـــدَ الهجـــيرةْ

***

أتيتِ على آخرٍ من زمان
عـــراه الكـــلالُ، وخـــار فُتُـــورا
ولـــولا تـــأخُّرُ عهـــد اللقـــاء
طويـــلاً، لكنـــتِ جَنـــاهُ الأثـــيرا

دبي: ٢/١٠/١٤١٢هـ

٧/١/٢٠٠٠م

جمر الصّغَار

شَلَّتْ يدي والعجزُ قد أضناني
أنا مُثْقَلٌ بالهمِّ والأحزانِ
أنا يا صديقي بالأسى متلفِّعٌ
ويطلُّ لونُ الجرحِ من أجفاني
ولكم سألتَ ـ ولم تجدْني مرةً ـ
إلا شَروداً كاسفَ الألوانِ:
لمَ لا تَرَوْنَ على شفاهي بسمة؟
ما بال دمعيْ طيِّعَ الجرَيانِ؟
ماذا يغيِّض ضِحْكَةً، يا طالما
رفَّتْ على شفتيك فجرَ حنانِ؟
قد كنتَ فينا مثل أنضرِ زهرةٍ
غُرِسَتْ، ففاح الطِّيْبُ في البستانِ!
مسكَ المجالس كنتَ فينا دائماً
وعبيرُ طيبِك دائمُ الفَوَحانِ

***

ماذا أحدِّث يا صديقي إنه
جمرُ الصَّغَارِ، وذِلَّةُ الإخوانِ

مـــا وُجْهَـــةً وجَّهْتُهـــا إلا أرى
قومـي الأعِـزَّةَ في أســيً وهـــوانِ
قومـي الذيـن عهدتُهـم بـدرَ الدُّجـا
أو دُرَّةً في جبهـــــةِ الأكـــــوانِ
دال الزمـــانُ، فحـــالُهم كالطـيرِ لا
يـأوي إلى غُصـنٍ مـن الأغصـــانِ
أو شـاردٍ مـا عـاد يَلْقَـى خيمـــةً
يـأتي إليهـا إنْ دَجَـا الحَدَثَـانِ

***

أَأُلامُ إنْ فـاضتْ دموعـي حسـرةً
أو غاضَ لونُ الفَـرْحِ مـن وجداني؟
جمـرُ المذلَّـةِ يـا صديقـي مُحْـرِقٌ
ولهيبُـــه أعتَـــى مـــن النّـــيرانِ

دبي : ١٩٩٩/٦/١٨م

قولُ مازن

لو أنني من مازنٍ[1]
وزعمتُ ما يلغي العلومَ
ولا يقولُ به بشرْ
ويمُجُّه أهلُ الفُهُومِ
ويستحيلُ على النَّظرْ
ويكونُ فوقَ الوصفِ
أو فوقَ الحقائقِ والفِكَرْ
لو قلتُ
إن الشمسَ حولَ الأرضِ ما دارتْ
ولا يوماً تدورْ
وزعمتُ أن الشرقَ مغربُها
ومن غربٍ يكون لها الظهور
والصبحُ في الكون السوادُ
وليلُه ذهبٌ ونورْ
لو أنني من مازنٍ

---

(١) إشارة إلى قصيدة الشاعر العربي القديم التي مطلعها:

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحْ إبلي بنو اللقيطةِ من ذُهْلِ بنِ شيبانا

وزعمتُ أشياءً وأشياء
تكذِّبها العقولْ
ويردُّها البرهانُ
أو نصٌّ مَقُولْ
وأبَحْتُ ما لا يُسْتَبَاحُ
وهانَ في قولي المَهُولْ
لو أنني من مازن
وزعمتُ... ثم زعمتُ... ثمّ زعمتُ
منْ يقضي ورائي أو يقولْ؟

دبي : ١٩٩٩/٨/٣م

اللّصّ

يا صغاري...
ذاتَ يومٍ
في عهود الانكسارِ
في زمانِ الجوعِ والقحطِ
وفي الأرض البَوَارِ
وعلى أشلاءِ ليلٍ قد تولى
وعلى عينِ النهارِ
دخل اللص دياري
هبَّ جدي وأبي
قُمنا جميعاً
من صغار وكبارِ
كان لصاً تائهاً بين الصحاري
بصَقَته في زوايا الأرضِ
أفواه المجاري
حولَه جيش البغايا
والزواني والجواري
قلبوا الدّنيا علينا
ورَمَوْنا في القِفارِ

...

استطال اللصُّ في الدار كثيرا
صار أوفى عدّةً
أقوى نفيرا
صار وحشاً
أزرقَ الناب هصورا
راح يدْعى صاحبُ الدار دَعِيًّا
وغدا اللصُّ كريماً أريحيا
صاحبَ الحقّ مهاباً
نافذ الرأي عليّا
لم يدعْ في الأرضِ وغداً
لم يُبَوِّئْه بداري
جانباً خصباً ثريّا

***

مات جدي
قربَ باب الدار
سيفاً يعربيّا
وأبي مات وفيّا
مات أعمامي وأخوالي
رؤوساً
شمخت نحو الثريا

***

كلُّهم ماتوا على درب النزالِ
كالنخيل الباسقِ الممتدِّ
من رأس الجبال
في سمُوِّ الشمس ماتوا
وإباء النجم
والشهب العوالي

***

دار دهرٌ
مرتِ الأيامُ حُبْلَى بالليالي
ودوامُ الحال في الدنيا
من الأمرِ المُحَال
انقضى عهدُ الرّجال
غاض نبعُ النبلِ
والشمِّ الغوالي
جاء بعد الجيل جيلٌ
لم يَدُرْ يوماً ببالِ

***

لم يكن في الجيلِ نخلٌ
حاملٌ تمرَ الفخارِ

يا صغاري...

لا تقولوا: أين داري؟

لم تَعُدْ تُذْكَرُ داري

لم تَعُدْ تُعْرَفُ داري

صار ذاك اللصُّ

من أهلِ الجوار

***

دبي ٣/١٠/١٤٢٠هـ

٢٨/١/٢٠٠٠م

موتٌ عظيم[1]

قالوا انتهى
ذاك الأشمُّ
المُشْرَئِبُّ إلى النجومْ
فعرا الوجومْ
غشَّت سحاباتُ الأسى
وهَمَتْ من الحزن الغيومْ
من كان أمسِ يطاول الصُّمَّ الصِّلابْ
ويجاوز النَسرَ المحلِّق في السّحاب
غابت مهابته الجليلةُ
في الترابْ

***

بالأمس كان
ملءَ الزّمانْ
ملءَ المكانْ
ينهى ويأمر
من يردُّ الصولجان؟
كان السّنا والعنفوانْ
يمشي فينساحُ الأريجُ
يفوح زهر الأقحوان
قالوا انتهى

***

(١) هو عمي أبو الخير الدّقّاق رحمه الله.

كيف انتهى؟
ما صدق الخبرَ الجميعُ
أينطفي ضوء الهلالْ؟
هذه بقايا نوره
فوق السهول، وفي التلالْ
حيث التَفَتَّ
شُعاعُه ذهبٌ
تلَمْلِمهُ الغلالْ

***

إنا جميعاً جَنيه
عُلِّمنا في جلساته
لون السّنا والكبرياء
معنى الجبينِ المُعْتَلِي
نحو السّماء
ما كان إلا شامخاً
مثلَ الكواكب في الفضاء

***

هذا الاشمُّ المُشْرَئِبُّ
يقال: غاب
لن يملأ الطرقاتِ بعد اليوم
بالنُّور المُذَاب

لن يلتقيْه الفجرُ
في صمتٍ مُهَاب
كلُّ الوجوه تبلَّدتْ
ما صدقتْ
غَطَّى على الوعي الحجابْ
لكنه قَدَرُ الجميع هو الغيابْ

دبي ٨/٩/١٤٢٠هـ
١٦/١٢/١٩٩٩م

فتى الفجر

لا لم يمتْ
ذاك الفتى
ولَوَ انَّهم زعموه ماتْ
ولَوَ انَّهم رفعوا جنازتَهُ
وصاغوا للدنا
صكَّ الوفاةْ
ولَوَ انَّهم قالوا انتهى
ما عاد فيه مُرْتَجَى
ورَثَوْه في كلِّ اللغاتْ
هو لم يمتْ
وإن ادَّعَوْا
ما زال يَنْبِضُ بالحياةْ

***

واهٍ، وحيدٌ، مُثْخَنٌ
وطعامُه بُقْيَا فُتَاتْ
هِيْضَتْ جناحاه
وأدمتْه الجراحُ الغائراتْ
كُسرت مناكبُه العريضةُ

وارتَمى مثلَ الرُّفاتْ
مُتَطَامِنٌ
الذُّلُ مرسومٌ على قسماتِهِ
مثلَ الخطوطِ البارزاتُ
ومُغَيَّبٌ
تتحرَّكُ الدّنيا حَوَالَيْه
ويغرقُ في السُّبات
خلف الجميعِ مُنَكَّسٌ
تهبُ الطعامَ له
أكفٌّ حانيات

***

قالوا: انتهى
ذاك الفتى
ولسوف يبقى رأسُه تحتَ الثَّرى
عَدُّوه مات
لكنه ما زال حيّاَ
لم يمت
ومماتُه وحياتُه بيدِ الإلهْ
في شاطئيهِ

مراكبُ السَّفرِ البعيدِ
وفوقها طوقُ النجاةْ
سيعودُ من طولِ الغيابِ
ويملأ الدنيا صداه

***

دبي ١٩٩٩/١١/٢٠م

شيخوخةُ الفؤاد

كيــف انطــوى عشــقُ الرِّغَــابْ
ورؤىً وأحــــلامٌ عِــــذَابْ
وصَبَابــــةٌ كــــانت تُلَظِّــــي
مــــن لظاهــــا الالتهــــابْ
وحــــــرارةٌ في خــــــافقتي
وتوثّــــبٌ فــــوق الوِثَــــاب
وجــــراءةٌ كالســــيف مــــا
أكــدَى بهــا يومــاً غِــلاب
وعزيمــــةٌ قعســــاءُ قــــد
شَــمَخَتْ إلى وجــه الهضــاب
كيــف انطــوت تلــك الــرُّؤى
فكأنهــــا لمــــعُ السَّــــرَاب
أو صــــورةٌ كَلَحَــــتْ معــــا
لمُهــا علــى وجــهِ الكتــاب

***

أيــــن الأنــــا، ذاك الجســــور
يفُــــضُّ أبكــــار الرِّغــــابْ؟

أيـــن الأنـــا الوثّـــابُ، مـــنْ
مَخَـــرتْ عزيمتُـــه العُبَـــاب؟
فَرَسَـــتْ ســـفينةُ حلمِـــه
مـــا فـــوق أثبـــاجِ السّـــحاب
أأنـــا أنـــا الصـــبُّ المتـــيَّمُ
لا يُرَوِّيـــني شـــراب؟
تتقـــافز الأشـــواقُ في
صـــدري، كمـــا يَثِـــبُ العُقَـــابْ

***

خمـــد التوقُّـــدُ في دمـــي
وغفـــتْ أزاهـــيرُ الطِّـــلابْ
لا الحســـنُ يَســـبيني، ولا
هيفـــاءُ فاتنـــةٌ كِعَـــابْ
مـــا عـــدتُ مشـــتاقاً إلى
هنـــد، وسُـــعْدَى، والرَّبـــابْ
والمُغْرِيَـــاتِ الصَّاخبـــا
تِ تُديـــرُ أعنـــاقَ الصِّحـــاب
ذَبُلَـــتْ لـــذاذاتُ الهـــوى
غشَّـــى براعمَهـــا الـــتُّراب

مثـــلُ الجليـــدِ أنـــا هنـــا
ومشـــاعري قَفْـــرٌ يَبَـــابْ

***

مـــاذا تغـــيَّر في دمـــي
فأنـــا تنـــاء واقـــتراب
وأنـــا ســـكونٌ كـــالدُّمى
وأنـــا كمـــا الصـــمُّ الصِّـــلاب
قـــالوا: المشـــيبُ، ففلـــت: كـــم
شـــابتْ نـــواصٍ مـــن شـــباب
ولكـــم رأيـــتَ أخـــا ســـنينَ
يغـــازل العَجَـــبَ العُجَـــاب
وتلـــينُ في يـــده المنـــى
ويـــدوسُ في شـــوكِ الصِّعـــاب
مـــا كـــلُّ شَـــعْرٍ في الفتـــى
كـــالليلِ، رمـــزٌ للخِصَـــاب
أو كـــلُّ شـــعرٍ كالصبـــاح
نذيـــرُ خَبْـــوٍ أو غيـــاب
لكـــنْ إذا شـــاخ الفـــؤادُ
يشـــيخ مَزْهُـــوُّ الإهـــاب

ويشـــــيخ في زمـــــن الخَنَـــــا
قلـــبُ الأبـــيّ، أخـــي الصّـــوابْ
ويشـــــيخُ وقّـــــادُ الشـــــعورِ
يَشُـــــوقُه لُـــــبُّ اللُّبَـــــابْ

دمشق ١٩٩٧م

أحْلَى زمان

وددْتُ لَوَ انّ الزمانَ يعود
تدورُ ليال
تؤوبُ عُهودْ
فعادتْ رُؤَانا القديمةْ
وأسمارُنا في الليالي الحميمةْ
وأشرق فينا صفاءُ الصغارْ
وشَجْوٌ بريءٌ كضوءِ النّهارْ
وددْتُ، وحلمُ الطفولةِ أضحى
شَرُوداً وراءَ الزمانِ
وراءَ المكانْ
يجوز تُخُومَ المنالْ
كشمسٍ تغرِّبُ وقتَ الزَّوالْ
وددْتُ لَوَ انّي أجاذبُهُ من بعيدْ
وأبقى أشُمُّ شذاه الرَّغيدْ
لوَ أني استطعتُ اقتناصَ بَهَاهْ
ومسَّتْ يَدَيَّ قليلاً يداهْ
وأُسْرِفُ حتى أقولَ:
لوَ اني أراه أمامي... أراه

قريباً..
وأسمعُ وقعَ خُطَاهْ
فتدنو القلوبُ البعيدهْ
وتحنُو النفوسُ الصَّلِيدَهْ
ويخضَرُّ جَدْبُ الرّمالْ
وتهتَزُّ نبلاً
حنايا الرِّجالْ
ويرجع هذا الزمان
كما كانَ
أحلى زمانْ

***

دبي ١٥/١٠/١٤١٢هـ
١١/١/٢٠٠٠م

تَرَحَّلْ

تأهَّبْ لتذهبْ
جميعُ الذين حواليك أضحَوْا
كمثل الخشبْ
وخُرْسَاً، وليسوا بُخرسٍ
ولكنْ
يقولون: إنّ السُّكوتَ ذهبْ
وأنت خطيبٌ
تعلَّمْتَ صوغَ الكلامِ
كمثلِ شظايا اللَّهَبْ
تَرَحَّلْ
حواليك صُمٌّ وبُكْمٌ
فماذا ستجدي عليك الخُطَبْ
تَرَحَّلْ
وجودُك وهْمٌ كبيرٌ
وما في بقائك فيهم أَرَبْ
فأنت صدوقٌ
كنور الصباحِ
وإن قال فيهم قَؤُولٌ كَذَبْ

دبي ١٩٩٩/٩/٢٠

أمي ... النّورس الذي رحل

أحِـــــنُّ إلَيْـــــكِ، وَأَنْـــــتِ
هُنَـــالِكَ تَحْـــتَ الـــثَّرى
وَقَلْـــبي مُدَمَّـــىً كَســـيْرٌ
يُحَـــزُّ بِسَـــيْفِ النَّـــوَى
لَقَـــدْ فَرَّقَتْنَـــا اللَّيَـــالي
وَغَـــالَتْكِ كَـــفُّ الـــرَّدَى
تَشَـــتَّتَ عِقْـــدُ اللِّقَـــا
طَـوَى المَـوْت مَـنْ قَـدْ طَـوَى
طَـــوَى نَبْعَـــةَ الحـــبِّ عَنـــي
وغَيَّـــض نَهْـــرَ الوَفَـــا
شَـــرِيدٌ أَنَـــا إذْ رَحَلْـــتِ
شَـــراعٌ أَضَـــاعَ الهُـــدَى
وَحِيـــدٌ يجـــوزُ الضيـــاعَ
يتيـــهُ بليـــلِ السُّـــرى
يُشَـــاكُ بصخـــر الطريـــقِ
وَيَدْمَـــى بشـــوكِ المَـــدى

***

أحقـــاً بَعُـــدتِ، ومـــا عـــا
دَ مـــن أمـــلٍ يُرْتَجـــى؟
كـــأنك لم ترحلـــي، أنْـــ
ـــتِ في كـــلِّ ركـــنٍ أرَى
فوجهُـــك في البيـــتِ يَهْمـــي
حنانـــاً، يفيـــضُ نَـــدَى
وكفُّـــك يُـــبْرِئُ جُرْحـــي
ويمسَـــحُ دمـــعَ الأســـى
وصوتُـــك حيـــثُ اتَّجهْـــتُ
هـــو الصـــوتُ ليـــس الصـــدى
معـــي، أنـــتِ ظلـــي، إذا مـــا
جَرَيْـــتُ بِـــدَرْبٍ جَـــرى

***

أَظُـــنُّ فِرَاقَـــكِ وَهْمَـــاً
وســـوف أراهُ انْثَنَـــى
أدافـــع فيـــه الظنـــونَ
أراودُ فيـــه المُنَـــى
ويغلـــو بـــي الشـــوقُ حتـــى
كـــأني أراكِ هنـــا

وأنـــــكِ عُـــــدْتِ إلينـــــا
وأنـــــكِ صِـــــرْتِ لنـــــا
رجعـــــتِ كمـــــا النـــــورس
العَـــذب يومـــاً شَـــجي الغِنَـــا
تروحـــين مثـــل المـــلاكِ
تضِيئـــــينَ ليـــــلَ العَنَـــــا
ولكـــنْ أُفِيْـــقُ مـــن الوهـــمِ،
أَلْقَـــى ســـرابَ الجَنَـــى
حبيبـــةَ قلـــبي مضيـــتِ
وصَـــوّح زهـــرُ الهَنَـــا
ولـــن نلتقـــيَ النّـــورسَ الحـــبَّ يومـــاً، هُنَـــا، بَيْنَنَـــا

دبي

١٩٩٧/٦/١٨م

ابنتي

مَـوَدَّةُ يـا(*)ابنـتي يـا فـرحَ عمـري
يـا فجـرَ الحبـورِ تـراهُ عيـني
ويـا قمـراً، إذا اعتكَـرَتْ ليـال
تغلغـلَ ضـوؤه في كـلِّ ركـنِ
مـلأتِ حولنـا الدنيـا ابتهاجـاً
ولوَّنـتِ المكـانَ بكـلِّ حسـنِ
جريتِ حمامةً في البيت جذلى
وعصفوراً يزقزقُ عذبَ لحنِ
حديثُـكِ نشـوةُ القلـب المُغَنَّـى
وضحتُـكِ الكنـارُ إذا يغنِّـي
إذا صَدَحَـتْ بـ(بابـا) انسـاب لحـنٌ
وغـرّدتِ الطيـورُ بكـلِّ غُصـنِ
فـأجمل منهـا مـا نطقـتْ شـفاهُ
ولا سمعـتْ مـن الأنغـام أذنـي
تقـولُ بُنَيـتي بابـا، فـأزهو
ويُفْجَـرُ في الحنايـا نهـرُ فنّـي

(*) ابنة الشاعر في عامها الثالث.

فقوليهـــا وقوليهـــا فـــإني
أمـــوتُ بســـحرِها واللهِ، إنّـــي
مـــودةُ للمكـــان بـــكِ ائتنـــاسٌ
ومكتئـــبٌ أنـــا لـــو غِبْـــتِ عنّـــي
يلاحـــقُ خطـــوَكِ الميمـــون قلـــبي
وأنـــت أعـــزّ مـــن نفســـي ومـــني
يزقـــزقُ خـــافقي طربـــاً إليـــكِ
ويمـــلأ مـــن فتونِـــكِ كـــلُّ دَنٍّ
إذا قلّبْـــت في يـــومٍ كئيـــبٍ
علـــى جمـــرِ العـــداوةِ والتجنّـــي
وناشـــتني ســـهامٌ مـــن حقـــودٍ
وصـــاحبِ فِرْيَـــةٍ وفســـادٍ ظـــنّ
وأثقَلـــني جبـــالٌ مـــن همـــوم
فمـــا يغفـــو مـــن الأوجـــاعِ جفـــني
أرى عصفورتـــي في البيـــتِ حـــولي
فيســـكُنُ في فـــؤادي كـــلُّ أمـــنِ

***

رزِقـــتكِ والإلـــهُ لـــه عطايـــا
وكـــم للهِ مـــن فضـــلٍ ومَـــنّ!

أَتَيْـــتِ إليَّ في زمـــنٍ جديـــبٍ
فكنـــتِ كـــدُرَّةٍ فـــوقَ التَّمَنّـــي

سلمتِ صغـيرتي مـن كـلِّ سـوء
خُفِظـتِ بُنَيْـتي مـــن شـــرِّ عـــينِ

وكنـــتِ شُـجَيْرةً في حقـــلِ خـــير
ويحرُسُـها العفـافُ بكـلِّ حِصْـــنِ

مـــوَدَّةُ وابنـــتي آلاءُ(*) عمـــري
وصبيـــاني الثلاثـــةُ فَـــرْحُ كونـــي

وزجـتيَ الحصـون جميـع كـنزي
وأغنـي مـا جنيـتُ ومـا سـأجني

دبي : ١٩٩٩/٧/٢٢م

(*) ابنة الشاعر الكبرى.

الفهرست

- إهداء ٦
- شعري ٧
- عبور الأربعين ٩
- إلى الراحلة... الباقية ١٣
- النبأ العظيم ١٧
- رثاية مستضعَف ٢٠
- رحلة القطار ٢٣
- لو ٢٨
- القاتل المقتول ٣١
- أغنية لمولود قادم ٣٣
- رسالة شوق ٣٧
- وداع ٤١
- رسالة إلى امرئ القيس ٤٤
- مودّة ٤٨
- الغائب ٥١
- عاشق نبيل ٥٤
- الطفل الكذاب ٧٥
- ارتحال ٦١
- الفارس ٦٣
- حلم ٦٦
- حكاية صلاح الدين ٦٧
- من أقوالها ٧٠
- الحجر ٧٢
- الربيع والخريف ٧٤
- جمر الصَّغارَ ٧٦
- قول مازن ٧٨
- اللّص ٨٠
- موت عظيم ٨٤
- فتى الفجر ٨٧
- شيخوخة الفؤاد ٩٠
- أحلى زمان ٩٥
- ترحَّلْ ٩٧
- أمي... النَّورسُ الذي رحل ٩٨
- ابنتي ١٠١
- فهرست ١٠٤